

## فيلمان ألمانيان والفكر الشمولي

خلال الأسبوع الماضي شاهدت فيلمين ألمانيين عبر صفحة الصديق الناقد السينمائي هادي ياسين على الفيسبوك، وهما من إنتاج 2019. الأول بعنوان «حياة خفية» life hidden A للمخرج الأمريكي تيرنس ماليك الحائز على جائزة السعفة الذهبية عن فيلمه «life of tree the» من بطولة براد بيت عام 2011.

الفيلم مبني على أحداث قصة حقيقية، حول فلاح نمساوي اسمه فرانز ياجيرشتاير يعيش وزوجته وبناته الثلاث في قرية «رايغوند» الهادئة بالريف النمساوي الخلاية والمطللة على جبال الألب، حيث يستدعى للالتحاق بالجيش النازي أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت في بدايتها 1939 بعد ضم الجيش النازي النمسا قبلها بعام. لكنه يرفض قسم الولاء لهتلر، وبعناد ذهنية مزارع يرفض كل الضغوط، التي يواجهها للتخلي عن رفضه، من سجن وتعذيب ونيز من أهل القرية، الذين يرون فيه خائنا لوطنه، وبسببه جلب العار لأهل قريته الوادعة والآلام والشقاء لزوجته وبناته.

الفيلم قصيدة بصرية بامتياز، يستثمر فيها المخرج الحاصل على الفلسفة مع مرتبة الشرف من جامعة هارفارد كل الإمكانيات، التي توفرها الطبيعة الخلاية من مناظر وأصوات وحياة الريف البسيطة بخلفية موسيقية من بيتهوفن، وهاندل، وباخ، ولقطات تصويرية عريضة، ومن زوايا عادة ما تكون قريبة وحميمية تعكس عمق الشخصية وهواجسها الداخلية، لذلك جاءت الحوارات مقتضبة وموزونة بدقة.

المخرج تيرنس كما هي عادته في أفلامه لا يركز على الحدث الخارجي بالقدر، الذي يركز فيه على موقف الرفض نفسه وتداعياته الروحية والنفسية على فرانز، الذي أجاد دوره الممثل الألماني أوغست ديل، حيث يصل إلى فناعة تامة ينسجم مع إيمانه المسيحي باعتبار ما يقوم به النازيون هو من أفعال الشر، التي تعارضها الكنيسة.

لكن هذه الفناعة، التي يبثها الفيلم لا نتلقاها نحن المشاهدين إلا عبر البوح الشفيف، الذي نلتقيه من خلال صوت خارجي أو عبر الرسائل المتبادلة بينه وبين زوجته وهو في المعتقل. يعدم فرانز عام 1943م بعد محاكمته بعد أن يطلب منه أن يوقّع على تأدية التحية النازية لكنه يرفض.

الفيلم لا يناقش عبثية موقف فرانز، إذ كان من الممكن أن يؤدي التحية ثم يستطيع أن يخدم في أي قطاع

بالجيش غير المعارك، ويتجنب بذلك المآل المأساوي لزوجته وبناته اللاتي آلت حياتهن إليه. لكنه كشف من جانب آخر عن التيار العريض من الكتّاب والفنانين والمبدعين، الذين قاوموا النازية سواء بالصمت أو بالهروب إلى الخارج ومقاومته أو مثلما هو حال فرانز، الذي اعتبرته الكنيسة مؤخرًا شهيدًا، وأُلِّفَ حوله الكثير من الكتب.

أما الفيلم الآخر، فهو «شفاه مختومة» «lips sealed» من إخراج الألماني بيرند بوهليش وتدور أحداث الفيلم عام 1952 حينما كان الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقية تحت سلطة وأوامر موسكو بحيث كان هناك الكثير من الناس كانت تريد الذهاب إلى موسكو لخدمة الحزب الشيوعي ومساعدته. لكنهم بمجرد ما يذهبون يتفاجأون بالواقع المرير، الذي يوضعون فيه، ومن ثم يكون استغلالهم في أبشع صوره، وهذا ما حدث مع الأسرة الصغيرة المكونة من أب وأم وابنتهما. يفتح الفيلم مشاهدته على الأب وهو يحاول الهروب من المعسكر، الذي يقع على حدود سيبيريا لأجل تقبيل ابنته في ليلة عيد ميلادها. لكنه أثناء رجوعه يمسك ويعدم بالرصاص في حينه. بعدها تبدأ رحلة شفاء الأم وابنتها في العمل الشاق بالمعسكر خلال عشر سنوات. تتطور الأحداث ويعقد الحزب مع الأم صفقة بموجبها تعيش حياة كريمة ومعززة في مقابل أن توفِّع على ورقة تلتزم فيها بعدم التصريح عن حياتها في معسكرات موسكو حتى لا تتأثر صورة الحزب. ثم يمضي الفيلم كي يضعنا أمام تساؤل مرعب: هل يمكن نسيان الماضي بمجرد ما نحصل على حياة كريمة؟ وهل تضحى الأم لأجل مستقبل ابنتها؟ هذا ما ينحو الفيلم إليه بعد أن تحرق البطلة مذكراتها، التي كتبتها في المعسكر.